

المقدمة

يهدف البحث إلى دراسة فترة من تاريخ العراق المعاصر بعد الاحتلال البريطاني له ، جاءت تلك الدراسة لعرض أهم التطورات السياسية والاجتماعية في فترة تشكيل الحكومة العراقية المؤقتة للفترة المحصورة (25 تشرين الأول 1920 – 23 آب 1921) .

وبالرغم من قصر هذه الفترة التي لا يتجاوز عمرها أكثر من عشرة أشهر ، إلا أنها كانت مليئة بالأحداث والتطورات السياسية التي أعقبت الاحتلال البريطاني لبغداد في 11 آذار 1917 ، وتقدم القوات البريطانية شمالاً واحتلال أغلب الأراضي العراقية حتى هدنة "موندروس" في 30 تشرين الأول 1918.

وتضمن البحث فصلين ، الفصل الأول التمهيدي الذي يبين أسباب الاحتلال البريطاني للعراق سواء كانت عوامل سياسية أم اقتصادية موضحاً فيها وجهة نظر الساسة البريطانيين . ثم نشوب الحرب العالمية الأولى عام 1914 ، التي استغلتها بريطانيا لاحتلال العراق في الجزء الجنوبي منه حفاظاً على مستعمراتها في الهند، وعليه لا بد على الباحث ان يستعرض الخطط المرسومة للقوات البريطانية لاحتلال العراق، وموقف الدولة العثمانية من ذلك الاحتلال ومدى قدرتها على التصدي ، وأوضح البحث ان الدولة العثمانية كانت غير قادرة بكل الأحوال على الرد السريع للقوات البريطانية بالرغم من بعض الانتصارات التي حققتها ، كان ذلك أمراً مؤسفاً وسبباً لتقدم القوات البريطانية بدون منازع واحتلالها الأراضي العراقية كاملة.

أما الفصل الثاني فقد تناول مشاعر العراقيين وتطور الحركة الوطنية لطرد المحتلين من البلاد الذي كان يتطلع الى الحرية والاستقلال ، على غرار ما صرح به الحلفاء من خلال تصريحهم المشترك في (7 تشرين الثاني 1918) الذي تظاهر لتحرير الشعوب من ظلم الأتراك، يضاف الى بيان الجنرال مود عندما دخل بغداد ووعد العراقيين بالحرية والاستقلال الا انها وعوداً كاذبة ومزيفة . ثم أرست دعائم الانتداب في مؤتمر سان ريمو في 25 نيسان/ 1920 لذلك شعر العراقيون ان من واجبه الوطني والشرعي طرد المحتلين حتى اندلاع ثورة حزيران 1920 وتشكيل أول حكومة عربية مؤقتة ، التي نجم عنها بعض المنجزات التي خدمت البلاد وكان ذلك تحت رعاية بريطانية لحين تبوأ فيصل عرش العراق.

الفصل الأول

من الأسباب الهامة التي دفعت بريطانيا للتوجه نحو العراق هو أهمية موقع العراق على الخليج العربي المؤدي إلى المستعمرات البريطانية في الهند وبالتالي انعكاساته على طرق المواصلات للإمبراطورية البريطانية ، لذلك كانت التطلعات البريطانية كبعثة جسني 1934 الملاحية التي تطورت إلى تأسيس شركات ملاحية. في عام 1892 صرح اللورد كيرزون بالقول : "بغداد تقع في ضمن موانئ الخليج ويجب إن تدخل في ضمن السيادة البريطانية التي لا تنازع"⁽¹⁾ . وفي عام 1911 أكد كيرزون مرة ثانية على تلك الأهمية حينما قال : " من الخطأ ان نفترض أن مصالحنا السياسية تنحصر في الخليج، كما إنها ليست منحصرة بالمنطقة الواقعة ما بين البصرة وبغداد . وانما تمتد إلى بغداد نفسها"⁽²⁾ واذا ما نظرنا بامعان لهذه التصريحات نلاحظ ان بريطانيا كانت جادة في احتلال العراق برمته، ولذلك اكتسب العراق أهمية كبرى في السياسة البريطانية منذ بداية النشاط البريطاني في الخليج العربي عام 1620 . في آب 1914 نشبت الحرب العالمية الأولى ودخول الدولة العثمانية الحرب مع ألمانيا في 5 تشرين الثاني 1914 وكان ذلك سبباً مهماً إرتابت منه بريطانيا وسارعت إلى احتلال مدينة الفاو بقيادة العميد "ديلامين"⁽³⁾ . في 6 تشرين الثاني أكملت القوات البريطانية الفاو دون مقاومة تذكر من القوات العثمانية لان خبر الاحتلال لم يصلها الا في 7 تشرين الثاني ، لذلك اعتمدت التخبط في المواجهة العسكرية.

(1) فيليب ويلارد ايرلند، العراق : دراسة في تطوره السياسي، ترجمة جعفر خياط (بيروت – 1949) ص24 .

(2) المصدر نفسه، ص25.

(3) ديلامين: قائد الحملة البريطانية في منطقة جنوب العراق (الفاو، البصرة) منذ عام 1914 والذي لم يواجه مقاومة من القوات العثمانية وذلك تسمى أحياناً بـ رحلة ديلامين ويرمز لها الرمز "D" .

الاتجاهات والتطورات السياسية في العراق (1920 – 1921)

وفي 22 تشرين الثاني احتلت القوات البريطانية "القرنة" وفي 23 منه احتلت مدينة البصرة ورفعت العلم البريطاني⁽⁴⁾. حاول العثمانيون استعادة مدينة البصرة وطرد القوات البريطانية منها عن طريق الوسائل الآتية:

- 1- تنظيم قواتهم النظامية في العراق.
- 2- كسب ود العراقيين عن طريق إعلان الجهاد المقدس⁵.
- 3- إثارة المشاعر والحماس لدى وجهاء العشائر⁽⁶⁾.

في 12 نيسان 1915 بدأ الهجوم العثماني على القوات الغازية الا انه باء بالفشل فيما ردت القوات البريطانية بالهجوم المضاد اسفر عنه اباداة عدد كبير من القوات العثمانية من موقعة "الشعبية"⁽⁷⁾

في 2 حزيران 1915 تقدمت قوات الاحتلال باحتلال العمارة وفي 25 تموز احتلت الناصرية⁽⁸⁾. نتيجة لاندحار القوات العثمانية حاول "بيرسي كوكس" اقناع القيادة البريطانية بالتقدم نحو بغداد، وفعلاً تقدمت الحملة بقيادة الجنرال طاوزند عن طريق نهر دجلة باتجاه بغداد وفي 27 أيلول 1915 اشتبك الطرفان في معركة ضارية قرب الكوت انتهت بتقدم القوات البريطانية باتجاه بغداد الا ان العثمانيون جهزوا حملة بقيادة نور الدين و خليل بك مع وصول القائد الالماني " فون دركولتز" لتنظيم الدفاعات العثمانية حول مدينة بغداد في 21 تشرين الثاني 1915 حاولت القوات البريطانية التعرض للقوات العثمانية الا انها باءت بالفشل الذريع واضطرت الى التراجع نحو "الكوت" ومحاصرتهم في 7 كانون الأول 1915 والذي استمر حوالي خمسة أشهر واستسلموا في (29 نيسان 1916) كانت خسائر البريطانيين فيها 40 ألف قتيل وأسير⁽⁹⁾

في أوائل عام 1917 تولى الجنرال (مود) قيادة القوات البريطانية فبدأ بشن هجوم على القوات العثمانية اضطرت إلى الانسحاب من الكوت إلى المدائن وفي 6 آذار 1917 تقهقر العثمانيون نحو نهر ديالى لذلك دخل البريطانيون بغداد فجر يوم 11 آذار 1917. وهكذا واصل البريطانيون زحفهم شمال العراق حتى عقد هدنة "موندروس" في 30 تشرين الأول 1918⁽¹⁰⁾.

عمد البريطانيون بعد احتلال بغداد إلى تأسيس نوع من الادارة ، تتمثل عبر العمل على تأمين الحاجات التي يتطلبها الاحتلال كاستغلال العراقيين في خدمة المجهود الحربي البريطاني والاستيلاء على الاراضي ، ومحاولة التقرب من العشائر من خلال مدهم بالمال ومنحهم الاقطاعات، والعمل على وضع نظام مالي وقضائي بدل الانظمة العثمانية هذا مما ساعد بريطانيا أن تجعل الجزء الجنوبي من العراق مستعمرة هندية⁽¹¹⁾.

كان العراقيون يتطلعون بانتهاء تلك الحرب الى إقامة حكومة عربية مستقلة في العراق طبقاً للوعود البريطانية للشريف حسين ، واستناداً إلى بيان الجنرال "مود" الذي أصدره بعد دخوله بغداد في (17 آذار 1917) وكذلك تصريح الحلفاء المشترك في 7 تشرين الثاني 1918¹².

نلاحظ ان حكومة بريطانيا اصرت على عدم ادخال الجوانب العسكرية مع تلك الحلول ، وبقي وكيل رئيس الحكام "ارنولد ولسون" يتولى شؤون الادارة في البصرة، بينما أصبح مقر رئيس النظام السياسي " برسي كوكس" في بغداد⁽¹³⁾.

خول الحاكم المدني العام صلاحية الاتصال المباشر بالحكومة البريطانية وان يعنون تقاريره الى وزير الدولة لشؤون الهند بالرغم من أن العراق كان ضمن مسؤولية القائد العام للقوات البريطانية السير (المرهالدين)⁽¹⁴⁾.

⁴ (حميد حمدان التميمي ، البصرة في عهد الاحتلال البريطاني 1914-1921 (بغداد – 1979) ص54.

⁵ (الجهاد المقدس: أعلنه السلطان عبد المجيد منذ بداية الحرب العالمية الأولى معتبراً نفسه خليفة الله على الأرض وان الجهاد أحد أركان الإسلام للدفاع عن الأرض المقدسة.

⁶ (عبد الله الفياض ، الثورة العراقية الكبرى سنة 1920 (بغداد – 1963) ، ص150.

⁷ (التميمي، المصدر السابق، ص245.

⁸ (عبد الرحمن اليزاز ، العراق من الاحتلال حتى الاستقلال (بغداد – 1967)، ص97.

⁹ (F.J.Moberly . official History at. The Great war , the campaing in Mesopotama, 1919- 1918 (London – 1923) Vol, 1 , pp.80-81.

¹⁰ (اليزاز ، المصدر السابق، ص79.

¹¹ (أحمد رفيق البرقاوي، العلاقات السياسية بين العراق وبريطانيا 1922 – 1933 (بغداد – 1980) ، ص ص16-17.

¹² جورج انطونيوس، يقظة العرب، ط3، ترجمة ناصر الدين الأسد وإحسان عباس (بيروت- 1969) ، ص ص590 – 591.

¹³ (المس بيل، فصول من تاريخ العراق القريب 1914- 1920 ، ترجمة جعفر خياط (بيروت- 1971) ص ص 231 – 232 .

¹⁴ (المصدر نفسه، ص233.

وبعد دخول القوات البريطانية بغداد تم تقسيم العراق إلى ولايتين بغداد والبصرة (15) وعين لكل منطقة " حاكم سياسي عسكري" وفي عام 1919 انفصلت الديوانية عن لواء الحلة ثم ادمجت كربلاء بالحلة وطرات تغييرات إدارية أيضاً على المناطق الشمالية إذ فصلت كركوك عن السليمانية وأربيل عن الموصل، وقد عين لكل من تلك المناطق ضباط سياسيين بعد أن وضعت حاميات عسكرية فيها (16).

عينت بريطانيا السير ارنولد ولسن بدل السير بيرس كوكس الذي في عهده كان يرى أن يحكم العراق حكماً مباشراً وان يرتبط القسم الجنوبي بحكومة الهند، لذلك أعيد تنسيق الادارة والقضاء على النمط "الهندي" (17) ، وتم تعيين بضعة عقداً للسير ارنولد ولسون بصفة أمين سر وكلهم من العسكريين (18).

لقد فرض البريطانيون الضرائب بصورة مدروسة ولم تأخذ بنظر الاعتبار عما يعانيه الشعب العراقي إزاء سياسة العثمانيين التعسفية وقد امتدت تلك الضرائب على بعض المهن الغير مشمولة بها كضرائب الطيور والاسماك حتى دفن الموتى ممن تجاوز عمره أكثر من ثلاث سنوات، أما الاجراءات الادارية ، نرى أن سلطات الاحتلال عاملت الناس في العراق معاملة شعب غير متمدن ، وقد أصبح سلوك الضباط السياسيين ومعاونتهم موضع ريبه من العراقيين، وكان الجواسيس منتشرين في القرى والأرياف (19).

كانت بريطانيا توزع الاراضي على مناصريها من زعماء العشائر، واستطاع المندوب السامي البريطاني هنري دويس إدخال نظام دعاوى العشائر ، كما أنجز برسي كوكس الصيغة النهائية لتشكيل الادارة المدنية في العراق (20).

لقد كانت حكومة الاحتلال مشغولة بالدرجة الأولى بجمع الضرائب من الشعب العراقي وتحت مسميات عديدة فهناك ، تبرعات للصليب الأحمر ، وتبرعات لبناء الملاجئ للجنود في بريطانيا وتبرعات لبناء تمثال للقائد البريطاني الذي احتل بغداد (الجنرال مود) (21).

لقد أدركت بريطانيا أهمية مشاريع الري عملاً بقناة الصقلاوية واليوسفية بالاعتماد على العشائر وتم التنسيق بين الجهات المعنية (سكرتارية الواردات والإشغال العامة) (22).

لقد تعددت الموارد المالية التي اعتمدها البلديات ، منها الاعانات التي تقدمها الحكومة والرسوم البلدية والغرامات التي تفرض على المخالفين ، وأشرفت سكرتارية المالية على قسم التدقيق الذي يتولى الواردات والنفقات (23).

لقد كان ميناء البصرة الذي جهزته الادارة البريطانية بالآليات ، بعد أن اختيرت قرية المعقل مقراً لذلك ، وتقول المس بيل في هذا الصدد: "لقد اختيرت قرية المعقل مقراً للارصفة الرئيسية لوقوعها على قناة عميقة طولها ميلين وتم رفع مستوى النهر ليتسنى لنا استعمالها." (24).

باشرت الإدارة البريطانية بتشكيل المحاكم المدنية في ولاية بغداد منها (محكمة الصلح) عام 1917 وأصدرت قانون المحاكم الذي نصّ على إيجاد نظام عدلي جديد على أن يعاد تأسيس محكمة مدنية واحدة للبداءة من حاكم بريطاني واثنين من الحكام العرب في بغداد . كما تناولت قضايا الأحوال الشخصية كالطلاق والزواج والإرث استناداً إلى أحكام القرآن الكريم وأحاديث النبي محمد (ص) ، وفي نهاية عام 1920 عين عدد من القضاة الشيعة في ستة مراكز (25).

وفي عام 1918 وضعت بريطانيا "نظام دعاوى العشائر المدنية والجزائية. الذي خول الحكام السياسيين البت في الأحكام بمساعدة المجالس القبلية والشهود للنظر في المشاكل، لقد كانت مهمة الأمن من مهمات القيادة

(15) ولاية البصرة تضم (البصرة ، القرنة ، الناصرية ، العمارة ، الكوت).

ولاية بغداد تضم (بغداد ، سامراء ، بعقوبة ، خانقين ، رمادي ، الشامية ، السماوة).

للتفاصيل ينظر: ستيفن همسلي لونكريك، العراق الحديث (1900-1950). ترجمة سليم طه التكريتي، ج1، دار الفجر (بغداد - 1988) ، ص178.

(16) المصدر نفسه، ص183.

(17) فلاديمير بوربوفتش لوتسكي، تاريخ الاقطار العربية الحديث ، ترجمة عفيفة بستاني (موسكو - 1971) ، ص463.

(18) الامناء هم كل من العقداً : (هويل) للدارسات ، (هو) للأراضي، (سليبتز) للمالية ، (بونهامر كارتر) للمحاكم ، (باتاي) للصحة العامة.

للتفاصيل ينظر: محمد عزيز - النظام السياسي في العراق، مطبعة المعارف (بغداد- 1954) ص ص63-64.

(19) كافلين لانكلي، تصنيع العراق، ترجمة د.محمد حامد الطائي (بغداد-1963) .

(20) المس بيل، المصدر نفسه ، ص332.

(21) المصدر نفسه ، ص344

(22) علي ناصر الإدارة البريطانية في العراق (1914-1921) أطروحة دكتوراه مقدمة إلى كلية الآداب، جامعة بغداد ، (بغداد - 1991) ، ص179.

(23) علي ناصر، الإدارة البريطانية في العراق (1914 - 1921) إطروحة دكتوراه مقدمة الى كلية الآداب جامعة بغداد (بغداد - 1991) ، ص178.

(24) المس بيل، المصدر نفسه ، ص344.

(25) المصدر نفسه ، ص289.

الاتجاهات والتطورات السياسية في العراق (1920 – 1921)

البريطانية لذا شكلت قوة من الشرطة لحفظ الأمن في البصرة ومعظم تشكيلاتها من الهنود والصوماليين والفرس حتى بلغ عدد أفراد الشرطة عام 1920 حوالي 4800 فرد (26).

أما بخصوص التعليم فقد أقدمت سلطات الاحتلال على فتح الدورات وفتحت بعض المدارس في البصرة والناصرية (27). تبعتها افتتاح مدارس ابتدائية في بغداد والمحمودية وبعقوبة والكويت وسامراء والهندية وكربلاء ، وتم فتح مدرسة المساحة ومدرسة الأمور التجارية ، حتى أنه في عام 1918 بلغ عدد المدارس الابتدائية الرسمية عشرين مدرسة في كل العراق ، وفي عام 1919 فتحت إحدى وعشرين مدرسة ابتدائية أخرى ، لقد أهمل البريطانيون التعليم الثانوي العام معتبرين ذلك انه سابق لأوانه ، لهذا كان التوجه نحو الثانويات الأهلية كالمدرسة الجعفرية في كربلاء ومدرسة النجاح الإصلاحية في الموصل (28).

حافظت القوات البريطانية على صحة قواتها في العراق أولاً من خلال تنظيف المدن وإنشاء ثلاث مستوصفات لتقديم الخدمات الصحية في مدينة البصرة وفي بغداد تأسست المستشفى "المدني الجديد" التي الحق بها معهد طب الاسنان ، ثم قامت الادارة الصحية بترميم المستشفى المجيدي، ومستشفى الموصل، وكان من الامراض المنتشرة في العراق آنذاك التايفوئيد ، والطاعون والملاريا التي حاولت بريطانيا مكافحتها ، وافتتاح مراكز للحجر الصحي في البصرة وخانقين (29).

الفصل الثاني

موقف العراقيين من حكومة الاحتلال

أدرك العراقيون أن حكومة الاحتلال مستمرة في حكمها المباشر وانها غير جادة في ايفائها بعهودها التي قطعتها للعرب وللعراقيين في الحصول على الاستقلال ، وكان للعامل الخارجي كانتفاضة سعد زغول في مصر 1919 التي اوقعت في القوات البريطانية المزيد من الخسائر له الأثر الكبير في رفع معنويات العراقيين بالثورة ضدهم (30).

يضاف لذلك تشكيل الحكومة الفيصلية في دمشق 1918 – 1920 شجع العراقيين من الذين كانوا في سوريا من عسكريين ومدنيين الى عقد مؤتمر عراقي لتشكيل حكومة وطنية على غرار الحكومة العربية في دمشق يرأسها الأمير عبد الله بن الشريف حسين (31).

وبينما كان الوطنيون العراقيون يتطلعون الى الاستقلال سارعت بريطانيا وحلفاؤها إلى عقد اجتماع في سان ريمو في إيطاليا في 25 نيسان 1920 لارساء دعائم الانتداب على الجزء الآسيوي من ممتلكات الدولة العثمانية (32).

كان الانتداب يضم مجموعة أمور منها أن تصنع بريطانيا (قانون أساسي) للعراق بعد مضي 3 سنوات وان تحتفظ بريطانيا بقوة عسكرية في العراق لاجل الدفاع عنه ، وانها هي المسؤولة عن امور العراق الخارجية ، وحفاظها على وحدة الاراضي العراقية (33).

إلا أن الشعب العراقي أعلن معارضته بعد سماعه ذلك الخبر الاليم الغير مألوف لديه لذلك قرر الوطنيون حشد الجماهير الشعبية وعقد الاجتماعات قابلتها بريطانيا بالشدة وكلفت بريطانيا السير برسي كوكس لتهدئة الاوضاع بحجة أن بريطانيا ستعمل بما في وسعها من أجل رقي العراق (34).

وفي ضوء تلك التطورات عقدت اللجنة المشتركة اجتماعاً في 27 حزيران / 1920 قال فيه اللورد كيرزون : " اننا يجب ان نواصل النهج الوسط في الحفاظ على مركزنا وارضاء الشعب ...، ومن المؤسف ان يكون الكولونيل "ويلسن" بقي طيلة هذه المدة في بلاد ما بين النهرين ... " (35).

²⁶ عباس العزاوي، عشائر العراق، ج4، شركة التجارة والطباعة ، (بغداد، 1956) ، ص407.

كذلك ينظر : إيرلند ، مصدر سابق، ص96 .

كذلك ، المس بيل ، المصدر نفسه ، 332 .

²⁷ إبراهيم خليل احمد، تطور التعليم الوطني في العراق (1869-1932) مركز دراسات الخليج العربي (البصرة- 1982) ، ص85 ، كذلك : إيرلند ، المصدر السابق ، ص90 .

²⁸ المصدر نفسه ، ص85 ، ص90 .

²⁹ التميمي ، المصدر السابق، ص398 ، كذلك المس بيل ، المصدر السابق ص337.

³⁰ محمد طاهر العمري، تاريخ مقدرات العراق السياسي، ج3 (بغداد – 1935) ، ص99.

³¹ الفياض ، المصدر السابق، ص213 .

³² (في ظل الانتداب أصبح (العراق ، وفلسطين ، وشرق الاردن) تحت الانتداب البريطاني (سوريا – لبنان) تحت الانتداب الفرنسي ، ينظر: مجيد خدودي ، نظام الحكم في العراق (بغداد – 1946) ، ص ص2-3.

³³ عبد الرزاق الحسني ، تاريخ العراق السياسي، ط1، (صيدا- 1948) ص ص84-85 .

³⁴ أمين سعيد ، الثورة العربية الكبرى ط1 (القاهرة – لات) ص42.

³⁵ كاظم هاشم نعمة ، الملك فيصل الأول والانكليز والاستقلال ، الدار العربية للموسوعات (بغداد – 1988) ص ص41 – 42.

إلا إننا إذا ما أمعنا النظر في تصريحات الحلفاء بشأن تأسيس حكومة عراقية هناك وجهات نظر بريطانية مضادة ، إذ قالت المس بيل : " ... أن التصريح الفرنسي البريطاني ضرورة يأسف لها " (36) .

كان ذلك التصريح أحد أسباب ثورة 1920 الذي دفع العراقيين إلى الدفاع عن قضيتهم المصيرية (37) . ومن خلال لقاءات كوكس مع ويلسون والمس بيل قبيل الثورة بأيام في بغداد لبحث آخر التطورات قام وفد عراقي بمقابلة ولسون الذي قدم مطالبه من خلال عقد مؤتمر عام يمثل كل العراقيين وشكل الإدارة وطلب عرضها على الحكومة البريطانية (38) .

من الجدير بالذكر أن السير برس كوكس قدم مقترحاً في 22 نيسان 1918 يهدف إلى تشكيل حكومة يرأسها مندوب سامي تساعده وزارة نصفها من البريطانيين والنصف الآخر من العراقيين وان يكون عبد الرحمن النقيب رئيساً لهذه الحكومة ، كما وجاء اقتراح المس بيل موافقاً لاقتراح بريسي كوكس (39) .
نوقشت تلك الآراء من قبل "لجنة الشرق الأوسط" (40) التي شكلتها الحكومة البريطانية عام 1918 لمناقشة الأوضاع في العراق والتي رجحت تعيين السير برس كوكس مندوباً سامياً وأعلنت عن كيفية استخدام العراقيين في الإدارة (41) .

وجاء تصريح الحلفاء في 8 تشرين الثاني 1918 لتحرير الشعوب من الأتراك وتأسيس حكومات وإدارة وطنية من صميم السكان في سوريا والعراق (42) وجاء بيان الجنرال "مارشال" (43) أن الوعود ستحقق في أقرب فرصة (44) . وبعد كل تلك التصريحات من قبل القادة والساسة البريطانيين رفع ولسون بعض المقترحات إلى حكومته التي لاقت ترحيباً حول الشأن العراقي وهذا ما يبدو واضحاً من الاجتماع الذي عقده مع وزير خارجية بريطانيا كيرزون الذي تضمن استفتاء العراقيين وهل يفضلون دولة عربية تحت وصاية بريطانية ومن هو رئيسها المفضل وعلى ما يبدو من خلال مضابط الشامية والنجف و كربلاء والكاظمية التي طالبت أن تكون هناك حكومة عربية يرأسها احد انجال الشريف حسين ، لقد طلبت الحكومة البريطانية من ولسون ان يضع دستوراً للبلاد، وهكذا وضعت اللجنة خطوطاً عامة لمستقبل العراق السياسي، إلا أن الوضع في العراق كان مشوباً بالحنز فقد نشطت الحركة الوطنية وبدأت الاتصالات من الوطنيين في بغداد والفرات الأوسط وبين الضباط الموجودين في دمشق وحلب الذين أكدوا ان تكون هناك حكومة وطنية في العراق (45) .

وبعد أن أكمل الثلاثة مسودة التصريح ، سافر كوكس الى لندن ، ولدى لقاءه مع كيرزون علم أن الثورة يجب أن تخمد أولاً ، ويقول كوكس : " في رأي ان الجلاء عن العراق غير ممكن لأنه يعني التخلي عن الانتداب ... " وغيرها من الدلائل (46) .

وبناءً على ذلك قررت الحكومة البريطانية إنهاء خدمات ولسون في نهاية أيلول 1920 وان يأخذ كوكس على عاتقه مهمة تأليف حكومة عربية مؤقتة فوافق على تحمل هذه المسؤولية، وعاد إلى العراق مرة ثانية بتاريخ الأول من تشرين الأول عام 1920 ، وفي الخامس منه تقلد منصبه الجديد بوصفه مندوباً سامياً على العراق ، وصل كوكس بغداد في 11 تشرين الأول 1920 وكان في مقدمة مستقبله طالب النقيب (47) .

أعلن كوكس عن تشكيل حكومة مؤقتة تسندها بريطانيا وأعلن انه سيبدل ما في وسعه مع الوجهاء العراقيين لتحقيق ذلك الهدف ، جاء ذلك نتيجة لاستمرار الانتفاضات الشعبية ضد الاحتلال، وكانت فكرة كوكس أن يؤسس مجلس من الوزراء العربي يشرف عليه مستشارون بريطانيون تحت إشراف المندوب السامي مباشرة

(36) الحسني، المس بيل والثورة العربية ، مجلة آفاق عربية، العدد الثاني عشر، السنة الثامنة، آب ، 1983، ص24.

(37) محمد مهدي البصير، القضية العراقية ، ص249.

(38) تشكل الوفد من خمسة عشر شخصاً ابتداءً من أبو القاسم الكاشاني وانتهاءً برفعت الجادرجي . للتفاصيل ينظر: عبد الرزاق الحسني ، الثورة العراقية الكبرى ، ص110.

(39) برسي كوكس : وهنري دويس (مذكرتان حول تكوين الحكم الوطني) ترجمة بشير فرجو ، مطبعة الاتحاد ، (الموصل - 1951) ص100-101.

(40) لجنة الشرق الأوسط :لجنة شكلتها الحكومة البريطانية عام 1918 لمناقشة الأوضاع في العراق وتألفت من ممثلين عن وزارات بريطانية (الخارجية والمستعمرات ، والهند) تهدف إلى دراسة الأوضاع في الشرق الأوسط ومنها العراق .

(41) حسين جميل، العراق شهادات سياسية 1908 - 1930 (لندن - 1987) ص44.

(42) جورج انطونيوس، المصدر السابق، ص590 - 591.

(43) الجنرال مارشال : هو قائد القوات البريطانية تولى القيادة بعد موت الجنرال مود بمرض الكوليرا (تشرين الثاني : 1917) .

(44) إيرلند ، المصدر السابق ، ص120.

(45) فاروق صالح العمر ، حول السياسة البريطانية في العراق ، ص50 - 51.

كذلك إيرلند ، المصدر السابق، ص121 .

البيزاز ، المصدر السابق ، ص79 .

(46) عبد الرحمن البيزاز ، المصدر السابق ، ص140 .

(47) عبد الرزاق الحسني ، تاريخ العراق السياسي ، ط1، (صيدا ، 1948) ص ص 84 - 85.

الاتجاهات والتطورات السياسية في العراق (1920 – 1921)

، وبعد أن حصل كوكس على التأييد لآرائه رشح عبد الرحمن الكيلاني لتولي رئاسة المجلس (48)، كما كان من جملة أعماله تشكيل مجلس استشاري ليكون حلقة الوصل بين السلطة البريطانية والشعب العراقي وهو امتداد لمشروع ولسون بعد استفتاء عام 1918 مع إجراء بعض التعديلات عليه (49).

أفصح كوكس عن مجلس يضم رئيس وثمانية وزراء عراقيين يساعدهم عدد من المستشارين البريطانيين إلا أن النقيب في البداية رفض ذلك، وكانت المس بيل تظن أنه إذا رفض السيد النقيب ذلك فإن الخيار الوحيد أن يكون كوكس في هذا المنصب ليستدعي أعضاء الوزارة المؤقتة ويعينهم (50).

وبعد جهود حثيثة تم إقناع طالب النقيب لحقيبة الداخلية، بعد أن قدمت له ضمانات في أن تكون له الكلمة العليا في المجلس وسوف تكون مهمة الرئاسة له في حال غياب عبد الرحمن النقيب (51)، وتم إقناع ساسون حسيقيل لتولي حقيبة المالية، إلا أنه في البداية رفض بسبب وجود طالب النقيب إلا أن المس بيل أفلحت في عدوله (52).

كما وساهم عدد من المسؤولين البريطانيين بإقناع جعفر العسكري بتولي منصب وزير الدفاع وكان متردداً في البداية لأن توليه الوزارة ربما يسيء لسمعته الوطنية إلا أن المس بيل أقنعتة لأنها لا تتردد بقبول فيصل ملكاً على العراق، ولما كان جعفر محباً لفصل قبل ذلك، كما وأنه قبل المنصب للوقوف بوجه طالب النقيب (53)، كما وتم قبول محمد فاضل وزيراً للنافعة كونه عضو مجلس المبعوثات العثماني ومن الطائفة الزيدية ثم اختيار عزت باشا الكركوكلي وزيراً للنافعة (وزارة الأشغال والمواصلات) وإقناع مصطفى الألوسي وزيراً للعدلية كونه قاضياً سابقاً، ثم وقع الاختيار على محمد مهدي بحر العلوم وزيراً للمعارف والصحة (54).

كانت سياسة كوكس تهدف إلى إشراك أكبر عدد من وجهاء العشائر والأسر التي لم تشارك في الثورة ويبدو أنه اتخذ تلك الخطوة لملئ الفراغ السياسي وهذا ما يبدوا واضحاً من تطابق ذلك الاتجاه في رأي (المس بيل) في اختيار عدد من الشخصيات العراقية البالغ عددهم إثني عشر شخصاً للاشتراك في الوزارة بدون حقيبة (55). طلب كوكس من النقيب توجيه الدعوة لأولئك الوزراء، لكي لا يعطي انطباع سيء عن تدخل بريطانيا المباشر في شؤون الحكومة الجديدة، وبتاريخ 25 تشرين الأول 1920 وجه النقيب دعوة للأعضاء الأصليين المرشحين، وهكذا تم تشكيل الوزارة النقيببة الأولى في دار النقيب يوم 2 تشرين الثاني 1920 وألقى النقيب في الاجتماع كلمة قصيرة دعاهم فيها إلى المثابرة في العمل دون أن يحدد واجبات المجلس (56).

وفي 10 تشرين الثاني 1920 عقد المجلس جلسته الثانية التي اتسمت بحضور جميع أعضاء الحكومة المؤقتة، وفي الجلسة الثالثة المنعقدة بتاريخ 13 تشرين الثاني 1920 تمت مناقشة المذكرة التي أعدها جون فيلي مستشار وزير الداخلية وأصبحت ورقة عمل لمجلس الوزراء وكان أبرز ما فيها هو تعيين مستشار بريطاني لكل وزير عراقي (57). وأفصحت مذكرة فيلي عن التزام الوزير العراقي بمسؤولياته اتجاه المستشار البريطاني الموجود في وزارته، واعتبرت المذكرة أن كل وزير هو الرئيس الأعلى في الوزارة ويكون مسؤولاً عن إدارتها بإشراف مجلس الوزراء بمشورة الضابط البريطاني المنتخب لتقديم الاستشارة إضافة الأخذ بنظر الاعتبار إلى

(48) المس بيل كرتود، المصدر السابق، (بيروت - 1971) ص 386 - 390.

(49) فاروق صالح العمر، المصدر السابق، ص 90.

(50) المصدر نفسه، ص 92. الحسين تاريخ العراق السياسي، ج 1، ص 86.

(51) المس بيل، المصدر السابق، ص 216 - 217.

(52) المصدر نفسه، ص 217.

(53) الحسين، تاريخ العراق السياسي، ج 1، ص 193.

(54) المصدر نفسه، ص 193.

(55) الحسين، تاريخ العراق السياسي، ج 1، ص 58.

(56) خيرى أمين العمرى، شخصيات عراقية، ج 1، (بغداد - 1955) ص 157.

كذلك ينظر: محمود توفيق حسن، عندما يثور العراق، دار الملايين (بيروت - 1959)، ص 102.

كان التشكيل الوزاري يضم كل من:

(1) طالب النقيب وزيراً للداخلية ومستشاره جون سنت فيليبي

(2) ساسون حقيق، وزيراً للمالية ومستشاره و.أ.ه. سليتر.

(3) حسين الباجه جي وزيراً للعدلية ومستشاره بونهام كارتر مستشاراً للعدل.

(4) عزت باشا الكركوكلي وزيراً للمعارف ومستشاره / لايدنيل سميث.

(5) جعفر العسكري وزيراً للدفاع

(6) محمد فاضل وزيراً للأشغال العامة ومستشاره / سنت جون اتكنسن

(7) عبد اللطيف المنديل وزيراً للتجارة

(8) مصطفى الألوسي وزيراً للأوقاف.

(57) محمد مظفر الأدهمي، المصدر السابق، ص 38.

السلطة العليا للمندوب السامي، وفيما يخص التعيينات يجب أن تكون بعلم مجلس الوزارة على أن تقتزن بمصادقة المندوب السامي، ومن صلاحيات المستشار أن يحضر جلسات المجلس التي تختص بدائرته دون أن يكون له حق التصويت (58). وإذا ما أمعنا النظر بجديّة لهذا الموضوع نرى أن المستشار البريطاني كان بمثابة الوزير الفعلي في كل وزارة، وإن مجلس الوزراء لم يكن أوفر حظاً من ممارسته سلطته من الوزير داخل وزارته، وهكذا أصبحت الوزارة أسيرة المندوب السامي البريطاني (59).

وأما إنجازات الحكومة المؤقتة فقد عينت عدداً من العراقيين ومن لهم سيرة طيبة في المجتمع وكفاءة مقبولة كمتصرفين في الألوية أو قائمقاميات الاقضية ومدراء النواحي، فيما قام المندوب السامي بتعيين مستشارين لهم جاء ذلك من باب التحوط (60). كما أقرت الدوائر الرسمية وتعيين مدراء عامين لها وإلى جانبها مفتشين بريطانيين، والحق بها عدد من الموظفين الهنود والأرمن والإيرانيين (61) أجريت الحكومة العراقية المؤقتة التقسيم الإداري العثماني، فألغي أسم (الولاية) وسميت الأقسام الكبرى باسم (الوية) وعددها عشرة ثم الاقضية وعددها خمسة وثلاثين قضاءً قسمت إلى نواحي عددها خمس وثمانون ناحية (62)، وأن يحل متصرف عراقي محل الحاكم السياسي البريطاني، وأنيطت التعيينات بمجلس الوزراء على أن يصادق على المندوب السامي خاصة الموظفين الهنود والبريطانيين، وتدارست الحكومة المؤقتة لأئحة تعليمات انتخاب أعضاء المجلس التأسيسي الذي بدوره أحالها إلى لجنة جديدة في وزارة الداخلية سميت (لجنة تدقيق تعليمات الانتخاب) (63).

وفي جلسة 15 - 16 كانون الأول 1920 عقد مجلس الوزراء جلسة خصصت لانتخاب المجلس التأسيسي العراقي وهنا ظهرت مشكلة تمثيل العشائر في المجلس واتخذ القرار الأخير برأي العسكري أن يكون ممثلان اثنان من كل لواء للعشائر، كما اتخذ مجلس الوزراء قرار العفو العام بناءً على مذكرة طالب النقيب للعفو عن المتهمين بالجرائم السياسية، شريطة أن يقدم العائدون تعهداً خطياً بذلك (64).

تدارست الحكومة العراقية المؤقتة موضوع تأسيس جيش عراقي لذلك شكلت لجنة برئاسة وزير الدفاع جعفر العسكري وعضوية كل من ساسون حسقييل وزير المالية وعزت الكركولي وزير الاشغال والميجر بويل قائد الشبابة في منطقة الحلة وجاءت موافقة بريطانيا بذلك لتقليل نفقاتها في العراق (65).

حاولت الحكومة المؤقتة معالجة الوضع الاقتصادي المتردي نتيجة لسحب سلطات الاحتلال موجودات الخزائن في الألوية وقيدهته إيراداً لحكومة الهند لذا كانت خزينة العراق خاوية عند تسلم الحكومة المؤقتة زمام الأمور (66).

الخاتمة

نستنتج مما ورد في البحث أن الاستعمار البريطاني كانت له اطماع استراتيجية كبيرة، وبالرغم من سعة مستعمراته سواء كانت في الخليج العربي أم مستعمراتها في الهند، فكانت لها اطماع للاستحواذ على العراق حفاظاً على مصالحها في تلك المناطق من قبل الدول الكبرى المنافسة لها كالمانيا والدولة العثمانية، ولذلك حاولت جادة وبعد دراسات مستفيضة ان تحتل الجزء الجنوبي من العراق، وهذا ما حدث فعلاً منذ بدء الحرب العالمية الأولى عام 1914، وقد شجعهم ذلك ضعف الدولة العثمانية الذي كان العراق جزءاً منها آنذاك.

ونتيجةً للاحتلال نستنتج أن العراقيين وقفوا جبهةً واحدة بوجه ذلك المحتل وطالبوهم بالايفاء بالوعود الزائفة التي أدلى بها الحلفاء أو بيان الجنرال مود. لذا وُحد العراقيون صفوفهم ونشبت ثورة العشرين التي غيرت نمط السياسة البريطانية من حكم مباشر إلى حكم غير مباشر من خلال تشكيل حكومة عراقية، كان بدايتها الكومة المؤقتة برئاسة عبد الرحمن النقيب، التي حققت بعض المنجزات الإدارية، بالرغم من أنها حكومة فنية، كان ذلك انجازاً عظيماً للعراقيين في بناء دولتهم الحديثة حتى تبوأ الملك فيصل العرش الذي ارسى دعائم المملكة العراقية.

(58) إيرلند، العراق، المصدر السابق، ص438.

(59) الأدهمي، المصدر السابق، ص139.

(60) جيروود بيل، المصدر السابق.

(61) الحسني، تاريخ العراق السياسي، ص202.

(62) الوحدات الادارية هي: بغداد، الموصل، البصرة، كركوك، ديالى، كربلاء، العمارة الحلة، المنتفك، الدليم.

ينظر: هنري فوستر، نشأة العراق الحديث، ج2، ترجمة سليم طه التكريتي، ط1، بغداد، دار الفجر للنشر (بغداد - 1989) ص 375-372.

(63) المصدر نفسه، ص231.

(64) الحسني، تاريخ الوزارات العراقية، ج1، ص20.

(65) المس بيل، العراق في رسائل المس بيل، ص238.

(66) الحسني، تاريخ العراق السياسي، ص203.

المصادر

- 1- إبراهيم خليل أحمد ، تطور التعليم الوطني في العراق (1869-1932) مركز دراسات الخليج (البصرة – 1982).
- 2- أحمد رفیق البرقاوي ، العلاقات السياسية بين العراق وبريطانيا 1932 – 1933 (بغداد – 1980).
- 3- أمين سعيد ، الثورة العربية الكبرى ، ج1، (القاهرة – لا بت .).
- 4- جورج انطونيوس ، يقظة العرب، ترجمة ناصر الدين الأسد وإحسان عباس (بيروت- 1969) .
- 5- حسين جميل، العراق شهادت سياسية 1908 – 1930 (لندن – 1987).
- 6- حميد حمدان التميمي ، البصرة في عهد الاحتلال البريطاني 1914-1921 ، مطبعة الإرشاد ، (بغداد – 1998) .
- 7- خيرى أمين العمري، شخصيات عراقية ، ج1، (بغداد – 1955).
- 8- ستيفن همسلي لونكريك ، العراق الحديث 1900-1950 ، ط1، ترجمة سليم طه التكريتي، دار الفجر (بغداد – 1988).
- 9- عباس العزاوي ، عشائر العراق ، ج4 ، شركة التجارة والطباعة (بغداد – 1956).
- 10- عبد الرحمن البزاز، العراق من الاحتلال حتى الاستقلال ، ط3، مطبعة الصافي (بغداد – 1967) .
- 11- عبد الرزاق الحسني ، الثورة العراقية الكبرى ، دار الشؤون الثقافية (بغداد – 1992).
- 12- عبد الرزاق الحسني ، تاريخ العراق السياسي ، ج1 ، (صيدا – 1948).
- 13- عبد الله الفيض ، الثورة العراقية الكبرى سنة 1920 ، (بغداد – 1963).
- 14- علي ناصر ، الإدارة البريطانية في العراق 1914-1921 رسالة ماجستير ، كلية الآداب (بغداد – 1991).
- 15- فاروق صالح العمر ، حول السياسة البريطانية في العراق 1914-1921 ، مطبعة الإرشاد (بغداد – 1955).
- 16- فلاديمير بوريوفتش لوتسكي، تاريخ الأقطار العربية الحديث ، ترجمة عفيفة بستاني (موسكو – 1971)
- 17- فيليب ويلارد ايرلند ، العراق دراسة في تطوره السياسي ، ترجمة جعفر خياط ، دار الكشاف للنشر (بيروت – 1949) .
- 18- كاتلين لا نكلي ، تصنيع العراق ، ترجمة محمد حامد الطائي ، (بغداد – 1963).
- 19- كاظم هاشم نعمة ، الملك فيصل الأول والإنكليز والاستقلال ، الدار العربية للموسوعات ، (بغداد – 1988).
- 20- مجيد خدوري ، نظام الحكم في العراق ، (بغداد – 1946).
- 21- محمد توفيق حسين ، عندما يثور العراق ، دار العلم للملايين (بيروت – 1959) .
- 22- محمد طاهر العمري ، تاريخ مقدرات العراق السياسية ، ج3 (بغداد – 1935).
- 23- محمد عزيز ، النظام السياسي في العراق ، مطبعة المعارف ، (بغداد – 1954).
- 24- المس بيل، فصول من تاريخ العراق القريب 1914 – 1920 ، ترجمة جعفر خياط (بيروت – 1971).
- 25- هنري فوستر ، نشأة العراق الحديث ، ج2، ترجمة سليم طه التكريتي ، ط1 (بغداد – 1989).